التطور الكرونولوجي لمفهوم الكلمة في الدراسات اللغوية العربية والغربية

الباحث

د. زينة قرفة

جامعة البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج - الجزائر

Chronological evolution of the concept of the word in Arabic and western linguistic studies

Researcher

Dr. GUERFA Zina

University mohamed El- Bachir Ibrahim

Bordj Bou Arreridj - Algeria

الملخص

قبل أن تكون الكلمة محل عناية علم يعرف بعلم المفردات كانت محل اهتمام عدة علوم مختلفة كعلم المعاجم، والبلاغة، والنحو، وفقه اللّغة، ولهذا اختلف الدّارسون في حديثهم عنها، وعن ماهيتها وكذا تحديدها. ويكفي أن نقول أنّ الاختلاف كان كبيرا في تحديد الكلمة إلى درجة أنّ بعضهم شكّك في قيمة الاعتراف بشيء اسمه « الكلمة»، وهذا ما سنحاول أن نثبّته أو نفنّده من خلال عرضنا لآراء بعض العلماء قديمهم وحديثهم.

الكلمات المفتاحية: الكلمة، علم المعاجم، علم النحو، البلاغة.

* * *

Abstract

Before the word became the sbject of interest ; as knowledge of vocabulary , it was the subject of several sciences such as lexicography , rhetoric , grammar , and Philology . Therefore , the scholars differed in their views about it , and what it is , as well as its definition . Suffice it to say that The difference was great about defining the concept of the word

To the extent that some scholars questioned the value of recognizing something called »the word«, and this is what we will try to prove or refute it by presenting the views of some , old and modern scholars .

Keywords :the word , grammer , lexicography , rhetoric

* * *

تمهيد

الكلمة وجود وضرورة إنسانية تعبّر عن قيمتها وأهميتها بذاتها، وهي بهذا المفهوم الصّورة المثلى لمقاصد القوم، ومشاعرهم من أجل إثبات الحق... وبها تحفظ مجموعة القيم التي يتواضع عليها النّاس، ومن ثمّ تقيّد القوانين التي قد توافق النّشأة الأولى والحقّ أو تخالفه، وتبقى الكلمة وحدها هي الفاصلة والفيصل بين الخبيث والطّيّب، وقد كانت في بدء النّشأة وحدة ثمّ تبلبلت على الألسنة في إطار عملية الإصفاء، وتلبية التعبير عن الحاجات، والمشاعر، ومع التّطوّر الاجتماعي والارتفاع الفكري، كانت الكلمات تتابع تطوّرها في البيئات كلّها حتّى تباينت ونشأت منها اللّغات العديدة، فصارت الكلمة جزء من اللّغة، وصارت اللّغة ألفاظا يعبّر بها كلّ قوم عن مشاعرهم وحاجاتهم ومقاصدهم، وإذا كانت اللّغات قد اختلفت من جهة التّلفظ بالكلمات فإنّها ظلّت متشابهة من جهة المعنى[1].

وعلى هذا الأساس تمثّل الكلمة اللّبنة الأساسية التي يعتمد عليها الكاتب والنّاطق في هندسة وبناء كلامها، أي إنشاء الجمل التي يتم بها التواصل والتفاهم والإفهام.

١- الكلمة عند أصحاب المعاجم العربية:

الكلمة عند أصحاب المعاجم يمكن أن نستشفها من خلال الطريقة التي رتّبوا بها المعاجم إذ يظهر أنّهم أدركوا تماما جانبين هامين في الكلمة وهما الجانب الصوتي والجانب الدّلالي ومن ثمّة رتبت المعاجم إمّا على أساس اللّفظ وإمّا على أساس المعنى، فنجد معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، وكان لمعاجم الألفاظ حظوة لتعدد طرق الترتيب فيها، فرتبت حسب المخارج (كمعجم العين للخليل ابن أحمد)، وحسب التّرتيب الألفبائي (كمعجم الجيم لابي عمرو الشيباني)، وحسب الأبنية والصّيغ (كمعجم جمهرة اللغة لابن دريد)...وقد اتجه اهتمام المعجمين القدماء الى جانب الدلالي، بينما اعتنى الخليل بالجانب الصّوتي.

وفي جميع الحالات نجد عناية المعجمين القدماء يتّجه بطبيعة الحال إلى الجانب الدّلالي باعتباره الهدف النّهائي من صناعة المعجم وقد اعتمد الخليل قاعدة التباديل الرياضية واحتمالاتها

(١) ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة، ص ١٨-١٩.

في حصر الكلمات المستعملة وغير المستعملة، وذلك المفهوم يكاد ينطبق بصوره المختلفة على مفهوم المورفيم « MORPHEME» الحر عند المحدثين باعتبار أن المورفيم هو أصغر وحدة لغوية مسموعة في معرفة الكلمة العربية وحدودها غير أنه لم يحاول وضع تعريف نظري لها، وإنّما اعتمد على الواقع العملي(١).

ولو تتبعنا مفهوم الكلمة في المعاجم اللغوية نجد لها عدة معان، أمّا ابن منظور فنجده قد حاول أن يقدم لها مفهوما، فذكر أن الكلمة تستعمل في ثلاثة معان لغوية، الأول: الحرف الواحد من حروف الهجاء، الثّاني: اللّفظة الواحدة المؤلفة من بضعة حروف ذات معنى، والثّالث: الجملة المفيدة والقصيدة والخطبة(٢).

وقد أشار بعض العلماء إلى أنّ استعمال الكلمة في المعنى من المجاز اللّغوي من باب تسمية الشيء باسم بعضه، كتسميتهم البيت من الشّعر قافية لاشتماله عليها، أمّا فيما يخص المعاجم الأخرى فمن خلال إطلالتنا على «العين للخليل بن أحمد ، والصّحاح» للجوهري ، و«تهذيب اللّغة» للزّهري ، وجدنا للكلمة ثلاث لغات:

الأولى: كَلِمَة على وزن نَبِقَة، وهي الفصحى ولغة أهل الحجاز، وبها جاء التنزيل. وكلمة على وزن تَمْرة، وهما لغتا تميم(٣).

الثانية: كِلْمَة على وزن سِدْرَة: وهي لغة تميم(٤).

الثّالثة: كَلْمَة على وزن ضَرْبَة، وأوّل من نصّ على هذه اللّغة الجوهري، وذكر بعض العلماء أنّ الكلمة مشتقّة لغة من «الكَلْمُ» وهو «الجَرْحُ» لتأثيرها في النّفس. فيما قال ابن فارس: «الكاف واللّام والميم أصلان أحدهما يدل على نطق مفهم والآخر على جِرَاحٍ»(٥). وعليه تكون الكلمة أصلا مستقلا، وليست مشتقة من الكلم بمعنى الجرح.

---

(١) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص٢٣.

(٢) ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٥٢٤. مادة (ك ل م).

(٣) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي، تاج اللغة والصحاح العربية، ج٥، ص ٢٠٢٣. الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٠، ص ١٤٧. ابن هشام الأنصاري: شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص ١١-١٢.

(٤) ينظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج٥، ص ٣٧٨، الأزهري: تهذيب اللغة ، ج١٠، ص ١٤٧.

(٥) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج ٥، ص ١٣١.

٢- الكلمة عند النّحاة:

فالكلمة عندهم، وفي طليعتهم سيبويه المبرد، أساس الجملة والكلام، وهي لفظ دال على معنى مفرد، باعتبار أقسامها الثّلاثة: الاسم وهو لفظ دال على معنى مفرد، غير مقترن بالزّمان، والفعل: لفظ دال على معنى في ذاته مقترن بالزّمان ، والحرف: لفظ يدل على معنى في غيره لا في ذاته. ويبدو أنّ سيبويه قد وقف عند ماهية الكلمة المفردة دون أن يعرفها[١]. وكذلك فعل المبرد، فكلاهما ينظران إلى الكلمة من الجانب النّحوي أو الوظيفي.

ويبدو أنّ سيبويه قد أثّر فيمن بعده من النّحاة في تحديد الكلمة كالمبرد الذي تحدّث عن الكلام دون الكلمة وهو عنده اسم وفعل وحرف غير أنه يستند إلى فكرة الاستقلال في تحديد ماهية الكلمة، فيقول: فأقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد، ولا يجوز لحرف واحد أن ينفصل بنفسه لأنه مستحيل، «وهو هنا يعني بالحرف الصوت الذي له دلالة مستقلة، غير أنّه يتمثّل لما قصده بالكلمة التي على حرف واحد، بضمير المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب؛ حيث تبرز فكرة الاستقلال الدّلالي كسمة من سمات الكلمة عنده»[٢].

ويقول الأشموني : «الكلمة هي اللّفظ المفرد». وقد خلص ابن هشام إلى أنه لو عرفت الكلمة بأنها قول مفرد، لكان أولى من وجهين: أحدهما أنه أخصر مع تحصيله للمعنى المقصود، والثاني أنه لا يوهم غير الواقع، فإن كلامه ربما أوهم قولين باطلين: أحدهما أن القول غير موضوع، والثاني أن المركب معناه بالوضع، وإنما هذا شأن المفردات التي يتولى بيانها اللغوي، فأما المركبات فدلالتها على معناها التركيبي دلالة عقلية لا وضعية[٣]، فقول ابن عقيل: «الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد»؛ فهذا يصدق على باء الجر التي وضعت لمعنى مفرد هو المصاحبة، مع أنّها ليست كلمة، وإمّا أن تزيد الطين بلة بأن تدخل في تعريف الكلمة أفكار منقوصة كفكرة التقدير[٤].

أمّا الزمخشري فيعرّف الكلمة فيقول: «هي اللّفظة الدّالة على معنى مفرد بالوضع. وهي جنس

(١) حسين جمعة، في جمالية الكلمة، ص٢٠.
(٢) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص٢٠.
(٣) ابن هشام الأنصاري: شرح اللمحة البدرية، ج١، ص٢٠٧، ص٢٠٨.
(٤) تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص٢٦٠.

تحته ثلاثة أنواع: الاسم، والفعل، والحرف»[١]. وابن يعيش يشرح هذا التعريف بالتحليل فيحدد الكلمة قائلا: «إن اللّفظ جنس للكلمة وذلك لأنه يدل على المهمل والمستعمل»، فالمهمل مايمكن ائتلافه من الحروف، ولم يضعه الواضع بإزاء معنى نحو (صص) ، (كق)، ونحوها، وما كان مثلها لا يسمى كلمة لأنّه ليس شيئا من وضع الواضع، ويسمّى لفظة، لأنه جماعة حروف ملفوظ بها[٢]. ومنه فالكلمة عند الزمخشري كما فهمها ابن يعيش تتوافر فيها ثلاثة شروط: الصّوت، وقصد المعنى، أو الوضع، ثمّ الاستقلال بدلالة محدّدة[٣]. أمّا السيوطي فنجده يعرّف الكلمة بقوله: «الكلمة لغة تطلق على الجمل المفيدة»، وهذا الإطلاق منكر في اصطلاح النحويين، ولذا لا يتعرض لذكره في كتبهم بوجه... قيل إنه من أمراضها التي لا دواء لها[٤].

ثمّ يرى أنّ أفضل تعريف للكلمة هو أنّها: «قول مفرد مستقل أو منوي معه»[٥]. ويستثني ما هو ليس بمستقل بالمعنى كحروف المضارعة، وياء النّسب، وتاء التأنيث، وألف اسم الفاعل ضارب...». أمّا المنوي معه فهو: يشير به إلى الضّمائر المستترة وجوبا كانت في فعل الأمر(قم)، أو جوازا في مثل (ذهب) ويفرّق بين الكلمة المنوي معها، وغير المنوي معها، حيث يستبعد من حد الكلمة ما نواه الإنسان في نفسه من الكلمات المفردة لأنّها ليست مرتبطة باللّفظ[٦].

ويبدو تأثير الوظيفة النّحوية عند السّيوطي واضحا رغم أنّه يلحّ على فكرة استقلال الكلمة دلاليا، لهذا أشار» ابن الخبّاز» إلى رفض تسمية الضّمير المستكن إمّا إنّه ليس بكلمة[٧].

غير أنّ ابن مالك كان قد لخّص لنا موقف النّحاة تقريبا من مفهوم الكلمة في ألفيته:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم
واحدة كلمة والقول عم وكلمة بها كلام قد يؤم[٨]

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج١، ص٧٠.
(٢) المرجع نفسه، ج١، ٧١.
(٣) حلمي خليل خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص ٢٢.
(٤) جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج١، ص ٢٢-٢٣.
(٥) المرجع نفسه، ج١، ص ٢٢.
(٦) ينظر المرجع نفسه، ج١، ص ٢٣.
(٧) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص٢٢.
(٨) محمد بن عبد الله بن مالك، ألفية ابن مالك، ج١، ص ٩.

حيث فرق بين مصطلحات (الكلمة والكلام والكلم والقول) فهو يرى أن الكلام هو اللّفظ المفيد ولا يكون مفيدا إلاّ إذا كان مركّبا، ويضم رأيه في الكلمة إلى رأي غيره من النّحاة أنّ للكلمة وجودا مستقلا لكنّها ذات معنى جزئي؛ إذ هي وحدة الكلام، وتصوّره للعلاقة بين الكلمة والكلام ينبع أساسا من رؤيته النّحوية للكلمة دون خصائصها اللّغوية.

ومن هذا كلّه نخلص إلى أنّ الكلمة عند النّحاة القدماء: هي اللّفظ الموضوع لمعنى مفرد، ولا يدلّ جزؤه على جزء معناه، أو الكلمة هي اللّفظ الواحد المركب من بعض الحروف الهجائية ويدل على معنى مفرد.

الكلام «الجملة» هو ما تركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل، والكلام قد يتكون من كلمتين إحداهما ظاهرة والاخرى مستترة مثل، اجتهد : الفاعل ضمير مستتر.

والكلم: هو ما يتركب من ثلاث كلمات فأكثر، سواء أكان لها معنى مفيد أم لا.

والقول: يطلق على كل لفظ ينطق به الانسان، ويشمل المفرد والمركب والمقيد وغير المقيد لذلك ينطبق على الكلمة والكلام والكلم [١].

ومن خلال كل ماسبق نستنتج أن تصور النحاة القدماء للكلمة يقوم على ثلاثة أصول: الصّوت والاستقلال والدّلالة المفردة أو الجزئية، غير أنّ هذا التّصور وإن كان يتّفق في بعض جوانبه مع آراء بعض علماء اللّغة المحدّثين الذين حاولوا وضع تعريف للكلمة في كلّ اللّغات[٢].

إلّا أنّه يتّضح بعض الجوانب الهامّة التي أغفلها القدامى أو اختلطت عندهم متمثّلة فيما يلي:

١- أنّها لا تفرّق بين الصّوت والحرف أي: بين عملية النّطق والنّظام الذي تجري عليه.

٢- أنّها تخلط بين الوظيفة اللّغوية، والمعاني المنطقية والوضعية.

٣- أنّها لا تفرّق بين وجود الكلمة وعدمها في تعريفها، وهذا ما أدّى إلى الخلط في التّفكير[٣].

٤- ولم يفرّقوا بين الدّلالة الوظيفية للكلمة، ودلالتها الاجتماعية، رغم إدراكهم لها.

٥- أنّهم جعلوا وجودها مرتبطا، بما تقتضيه وظائف النّحو[٤].

---

(١) محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيق في القران الكريم، ص١٣ وما بعدها.

(٢) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص٢٣.

(٣) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص٢٦٠.

(٤) حلمي خليل، مرجع نفسه، ص٢٣.

واستنادا إلى ما سبق فقد حاول النحاة المعاصرون تقديم تعريفات للكلمة تختلف قليلا عن ما قدمه النحاة القدماء محاولين بذلك استدراك الهفوات التي سقط فيها هؤلاء الثلة من النحاة، حيث نجد عباس حسن يعرفها بأنها:» اللفظة الواحدة التي تتركب من بعض الحروف الهجائية، وتدل على معنى جزئي، أي مفرد، فإن لم تدل على معنى عربي وضعت لأدائه فليست كلمة، وإنما هي مجرد صوت»[١].

في حين نجد الحلواني يقدم تعريفا أدق حيث يقول : «الكلمة هي وحدة لغوية ترابط مع مثيلاتها في التركيب اللغوي، لأداء الغرض المقصود، ويمكن أن يفصل بعضها من التركيب ويستقل عنه، على حين لا يفصل بعضها الآخر ولا يستقل، وإلا فقد دلالته»[٢].

٣- عند علماء البلاغة

نظر أهل البلاغة إلى الكلمة من حيث قيمتها الجمالية والتعبيرية، ونخص هنا علماء البلاغة العربية قديما إذ أهمتهم قضية الكلمة، ودلالتها، وقيمتها، في التعبير أمدا طويلا خاصة لما لها من صلة بقضية الإعجاز القرآني، ففرّقوا بين الكلمة الدّالة على المعنى وبين صوتية الكلمة، وأضافوا القيمة الجمالية والتعبيرية عندما لا تتنافر أصواتها، تحدث في الأذن متعة وتساعد على تذوّق المعنى وتوصيله ولها قدرة تعبيرية خاصّة، وإن كان جرسها يتفق مع ما توحي به من دلالة، وكانت أصواتها سهلة المخرج تطابق ماتدل عليه. ومنه فقد اتصلت دراسة البلاغيين للكلمة بجانبين هما:

- أصوات الكلمة وعلاقتها ببعضها البعض.
- دلالة الكلمة وقيمتها الجمالية والتعبيرية وهي مفردة وفي التأليف.

وقد سبق ابن سنان الخفاجي الغربيين وقد نظر إلى الكلمة من جهة الفصاحة والبلاغة... فهي ذات ماهية خاصّة على المستويين السّابقين، فما تتّخذه الكلمة في حالة الإفراد لا تتخذه في حالة التركيب النّحوي المباشر وغير المباشر هي في نهاية المطاف- مبنى ومعنى - ...إنّها تتّخذ لنفسها ماهية متعدّدة كتعدد السّياق الذي تدخل فيه ولهذا فهي تظهر وتحذف، وتقدّم وتؤخّر وتقحم في مكان لا تقحم في غيره ويستعاض عنها بكلمة في مكان لا يمكن أن تقع كلمة أخرى مكانها فهي تتّسم بخصائص فنّية بنائية مستمدّة من جنسها اللّغوي الذي تنتمي إليه أوّلا ومن صياغة حروفها في تقاليدها المميّزة لعمق دلالتها وتنوّعها ثانيا، ومن التّركيب النّحوي الذي تغدو جزء منه ثالثا، ومن الاستعمال الحقيقي أو المجازي

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج١، ص ١٥.
(٢) محمد خير الدين الحلواني، الواضح في النحو، ص ٩-١٠.

الذي تبنى عليه رابعا، وقد تحدّث عنه القدماء ثمّ دخل في الدّراسات البلاغية عند المتأخّرين[١].

لذلك كلّه فالكلمة عند الإمام عبد القاهر أعظم بكثير مما انتهى إليه ابن سنان الخفاجي -على أنّهما متعاصران- فقد تقدّم خطوات كبرى في معالجة أصوات الكلمة كما انتهى إليه ابن فارس وكذلك فعل في البنية الصّرفية ودلالتها، وفي التّركيب النّحوي وثرائه الدّلالي... فدرس علاقة التّركيب بالدّلالة الشّعورية والفكرية، ونظر إلى بنية الكلمة ووظيفتها مفردة ومركبة وما تتركه من أثر في المتلقّي[٢]، حيث يقول: «الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ. ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر»[٣].

وقبل أن نتناول مسألة الفصاحة والبلاغة في اللّفظ المفرد والمؤلّف، وما قيل في شأنهما فيما يخص الكلمة لا بدّ أن نضع تعريفا لها نتصوّره في ضوء ذلك، فالكلمة صوت دال على معنى ما يحدث في الأذان إيقاعا معيّنا، ويتصف بجمالية خاصّة تترك الملتقى أثرها.

وإذا كان هذا الكلام يثير فينا الممارسة الحرّة والمسؤولة فإنّه يفرض علينا الحديث عن مسألة تأصيل الفصاحة والبلاغة لدى البلاغيين والنّقاد العرب، لأنّها مسألة لغوية بلاغية أسلوبية تبحث في الصّوت والدّلالة والأثر، ولعلّنا ندرك في ضوء ذلك وفي ضوء ما يأتي أن الكلمة ليست عند العرب مجرّد إشارة منفصلة عمّا تشير إليه، بل هي منذ القديم مرتبطة بنظام معياري معيّن، وربّما ينزاح عن تلك المعيارية إلى اتجاهات بلاغية مثيرة[٤].

وهذا ما أكده الجرجاني حين قال: «إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، فقولهم بالضم لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة، من غير اتصال يكون بين معنييهما، لأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل: ضحك، خرج، أن يحدث في ضم خرج إلى ضحك فصاحة. وإذا بطل ذلك، لم يبق إلا أن يكون المعنى

(١) حسين جمعة، في جماليات الكلمة، ص٢٢.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٢.
(٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٤٠.
(٤) حسين جمعة، في جمالية الكلمة، ص٢٢.

في ضم الكلمة إلى الكلمة توخي معنى من معاني النحو فيما بينهما»[١].

فالكلمة في العربية تقوم على معاني نحوية، وصيغ بلاغية لا نظيرها في اللّغات الأخرى... وكلّما تأمّل فيها الباحث العارف والعالم بأسرارها وأدرك إشارتها وغاياتها البعيدة والقريبة تأكّد له ذلك فبلاغة تصميم الكلمة تنتظم التكيّف مع التصميم الأوّلي للكون في الوجود والنّشأة، وفي التّعبير عن الحق والحقائق، ومن ثمّة تعدّ كلمة أدبية جمالية رفيعة، تملك من اللّطائف البلاغية مالا يمكن بلوغه كلّه، ولا يحيط به محيط[٢].

٤- عند بعض علماء اللّغة المحدّثين الغربيين:

حاول بعض علماء اللّغة المحدّثين وضع تعريف للكلمة بحيث ينطبق هذا التعريف على كلّ اللّغات آخذين في الحسبان وجهات النظر المختلفة، سواء من الناحية الصرفية أم من الناحية الصوتية، أم من الناحية النحوية أم الدّلالية، ومن ثمّة تعدّدت التعاريف وواجه كل تعريف منها نقدا من علماء اللّغة على اختلاف مدارسهم.

ولعلّ أشهر من عرّف الكلمة من علماء اللّغة المحدّثين العالم الأمريكي(بلومفيلد bloomfield) الذي قال: الكلمة هي أصغر شكل حرّ، (forme libre minimale)[٣] ومعنى هذا: أنّ الكلمة عنده هي أصغر وحدة لغوية يمكن النطق بها معزولة، كما يمكن استعمالها لتركيب جملة أوكلام، ويجب أن تتكون من مورفيم حر على الأقل. ومع ذلك فإنّنا نجد في كلّ اللّغات كلمات لا ينطبق عليها هذا التعريف، ففي اللّغة الإنجليزية مثلا: نجد عناصر لغوية مثل: - a- و - th- لا تستعمل بمفردها قط. فهذا التعريف يبقى ناقصا، كما أنّنا لا نستطيع إدراج الضّمائر وحروف الجرّ وبعض الادوات النحوية ضمن هذا التعريف لأنّنا لا نستطيع أن نقيم حوارا باستعمالها فقط[٤]

أمّا العالم الإنجليزي (فيرث FARTH) فقد اعتمد على التقابل الاستبدالي أي استبدال الأصوات ذات الصفات المميّزة في الكلمة بغيرها، أو إضافة هذه الاصوات أو حذفها يؤدي إلى وجود كلمات جديدة، وعلى هذا النحو يؤدي تغيير أي عنصر من عناصر الكلمة إلى خلق كلمة جديدة مثل: - PIN-

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٢٥٢.
(٢) حسين جمعة، في جمالية الكلمة، ص٢٢-٢٣.
(٣) مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ص ٤٨.
(٤) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص١٦.

مثلا: قد تصبح: - BIM - أو - PIT - فإذا أضفنا إليها صوتا جديدا فقد تصبح - SPIN- وأمّا حذفها فيحوّلها إلى: IN وهكذا. وأمثلة هذا في العربية كثيرة- قال - تصبح: جال أو صال أو... الخ[١].

وإذا مضينا في تتبع التعريفات التي وضعت للكلمة وجدنا عددا من التعريفات أثار جدلا في بيئة علماء اللّغة المحدّثين والمعاصرين، فهذا (مارتيني Martiny) استنتج من تحديده للسان بأن هذا الأخير يحتوي على ثلاثة أصناف من اللفظات يمكن اتخاذها وسيلة لتحديد العلاقات التركيبة أي تحديد الوظائف وهي: اللفظة المستقلة، واللفظة الوظيفية، واللفظة المقيدة بالموقع اللفظة المستقلة : لا تحتاج بعض اللفظات إلى غيرها من الوحدات لتحديد وظائفها لأن هذه الوظيفة كامنة في ذاتها، كما أن موقعها لا يحدد وظيفتها، ومثالها: أمس غدا، البارحة اللفظة الوظيفية: هي التي لا تملك وظيفة خاصة بها في قول من الأقوال، وإنما ينحصر دورها في تحديد وظيفة وحدة معنوية مجاورة، وتشكل معها تركيبا مكتسبا للاستقلالية. ونذكر على سبيل المثال حروف الإضافة اللفظة المقيدة بالموقع: الملاحظ أن تحدد وظائف بعض اللفظات عن طريق موقعها في قول من الأقوال ومعنى هذا أن ترتيب العناصر اللغوية لا يتم بصورة عشوائية، وإنما يخضع لترتيب منطقي محكم، وهو مثلا وضع «المضاف إليه» في اللغة العربية[٢].

ويقول: (أنطوان مييه MEILLET) «تحدث الكلمة من ارتباط معنى ما بمجموع ما من الأصوات قابل لأنّ استعمالا نحويا ما»[٣]. وهذا التعريف صالح للمورفيمات، وللجمل وأجزاء الجمل أيضا أضف إلى ذلك أنّ الاستعمالات الجراماطيقية (النحوية) لا تهتم بالكلمات وإنّما تهتم بالأبواب التي تعتبر الكلمات أمثلة لها في السياق.

أما تشومسكي فيعتبر الكلمة مجتمعا لسانيا قائما بذاته، وهي من وجهة نظره المادة الأساسية التي لا غنى عنها، فالكل يتعامل مع الكلمة التي لا وجود لها كما يرى «ما لم تتضمن معنى لها، يسند المعجم معنى أوليا إلى المفردات اللغوية ويخصها بسمات صوتية وتركيبية ودلالية ويتحدد معنى المفردات بما نسميه بالمدخل المعجمي»، إلا أن الكلمة تفقد معناها المعجمي بحسب السياق الذي ترد فيه إذ كما يرى أنها لا تقتصر على مدلول الكلمة فقط ، إنما تحتوي على كل المعاني التي قد تتخذها ضمن

(١) حلمي خليل الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص١٦.
(٢) ينظر سليم بابا عمر، اللسانيات العامة المسيرة، علم التركيب، ص ٨١-٨٣.
(٣) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص١٧.

السياق اللغوي، وذلك لأن الكلمات في الواقع، لا تتضمن دلالة مطلقة، بل تتحقق دلالتها في السياق التي ترد فيه، وترتبط أيضا دلالة الجملة بدلالة مفرداتها وبنيتها التركيبية»[١].

وعند (جاردنر GERDINER) الكلمات ذات وجهين في طبيعتها وجه هو المعنى ووجه آخر هو الصوت، وحيث تكون الكلمات في ملك كل شخص تكون من ناحية جواهر طبيعية مكونة من منطقة المعنى من جهة ومن صورة صوت معين من جهة أخرى، هذا الصوت صالح لأن يعاد نطقه بالإرادة والكلمات التي في حقيقتها نفسية وهي مواد للمعرفة والتعلم مع أنّها هي أحد جانبي طبيعتها تشير إلى حدث عضوي تمكن إعادته بحسب الإرادة[٢].

فنلاحظ أنّه أدخل في تعريفه أسسا غريبة عن منهج اللّغة مثل اصطلاحات: الحقيقة الطبيعية، الملك، المعرفة، التعلم، النفس... إذ تجنح بناء على علم النفس.

ويرى (يسيرسن) أنّ الوسائل الإصواتية الخالصة لا تصلح لتحديد حدود الكلمات، ويضاف إلى الإحساس بالكلمة غالبا لا دائما، خصائص أصواتية معينة تساعد على التحديد الخارجي للكلمات[٣].

أمّا (فندريس) فيرى أن: «الكلمة تحمل في نفسها علامة استخدامها والتعبير عن قيمتها الصرفية، فإنها بنفسها كم لا يدع الحاجة الماسة إلى شيء»[٤].

ونجد (ماتيوس MATHESINS) يعرّف الكلمة بقوله إنّها: وحدة صوتية متتابعة لا يمكن أن ترتبط بأي وحدات أخرى. بينما قال (فاشيك VACHEK) أنّ الكلمة هي جزء من الحديث الكلامي، له صلة بالواقع الخارج عن اللّغة، ويمكن اعتبارها وحدة غير قابلة للتقسيم، ويتغير موضعها بالنسبة لبقية الحدث الكلامي[٥].

أما من حيث دلالة الكلمة من وجهة نظر علم اللغة الوصفي «فيرتبط ارتباطا وثيقا بما يسمى بالمورفيم فمفردات أي لغة: Lexicology تعرف إذن بأنها مجموع رصيد المورفيمات وتجمعاتها»، ومن وجهة نظر علم اللغة التركيبي تعرف الكلمة Word ، بأنه «وحدة في جملة تحدد معالم كل منها بإمكانية الوقوف

(١) ينظر ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص ١٤٠-١٤١.
(٢) مناهج البحث في اللّغة، تمام حسن، ص ٢٦١.
(٣) المرجع نفسه، ص ٢٦٢.
(٤) المرجع نفسه، ص ٢٦٢.
(٥) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص ١٧.

عندها « ليس من الضروري أن يتم الوقوف فعلا»[١].

ورغم هذا التّعدد في التعريفات إلاّ أنّه وجد أنّ كلّ تعريف يهمل بعض الخصائص اللّغوية وغير اللّغوية للكلمة، كما قد لا ينطبق على بعض اللّغات المختلفة العائلات و الخصائص. ولعل مرد هذا الخلط يعود في الأساس إلى» كون ماهية الكلمة متعدد الأبعاد والجوانب فالكلمة ذات متميزة بملامحها الصرفية والتركيبية والدلالية والمعجمية والصواتية.....إلخ.

ومن أجل رصد هذه السمات وهذا التميز تعددت النظريات والمقاييس للفصل بين ما يمكن معالجته في التركيب أو المعجم أو الصرافة أو الصواتية، مدرجة معالجة الكلمة داخل هذا المكون أو ذاك[٢].

ومن ثمّة اتجه علماء اللّغة وجهة أخرى لضبط تعريف علمي دقيق الكلمة بعد فحص التعريفات السابقة ومحاولة معرفة النقص، والخطأ منها فوجد أنّ هذه الأخطاء غالبا تكون واحدا من أربعة أوكلها معا وهي:

١- إعطاء أهمية مبالغ فيها أحيانا للملامح الصّوتية أو الملامح الدّلالية وحدها دون النّظر في طبيعة العلاقة المعقّدة بين الصّوت والدلالة.

٢- عدم تقدير أهمية العلاقة بين الكلمة وبين الجملة والتركيب.

٣- عدم الفصل بين الخصائص اللّغوية والخصائص الدّلالية للكلمة.

٤- الخلط بين حالتي الكلمة وهي متحرّكة أو مستقرة أو ثابتة[٣].

وخلص هؤلاء إلى وضع معايير يحترمها، ممّا من يتصدّى لتحديد ماهية هذا الصّوت المعقّد المسمّى بالكلمة وهي: الإدراج، الإبدال، التّعاقب، الاستقلال، التركيب الفونيمي، الجانب غير الفونيمي - مع الإشارة إلى أنّ هذه المعايير تتفاوت في درجة تطبيقها على كلّ اللغات .

ومن كل ماذكر نشير إلى نتيجة وهي أنّ مفهوم الكلمة قد يضيق ليصبح خاصا بكل لغة على حدّه، دون الوصول إلى تعريف جامع لماهية الكلمة في كلّ اللّغات.

---

(١) ماريو باي: أسس علم اللغة، ص ١١٢.

(٢) عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ص ٣٧.

(٣) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية ، ص١٨

الخاتمة

وبعد هذا العرض لأهم الاجتهادات في وضع تحديد للكلمة ومفهوم لها نلحظ أنها من المصطلحات التي عسر تحديدها، لأنها ترتبط بكل من النظام الصوتي والنحوي والمعجمي للغة، وتعتبر أيضا الجسر الذي يربط النحو بالصرف، فهي بذلك تختلط بالمورفيم من ناحية وبالفونيم من ناحية أخرى، فبعد استعراضنا إذا لتعريفات مختلفة للكلمة شرقية وغربية، وجدنا في النهاية أنها فكرة الكلمة فبعض الأفكار اللغوية الأخرى، لا يمكن أن تعرف تعريفا ينطبق عليها في كل اللغات وإنما تستقل في كل لغة بتعريف خاص بها منتقى من طبيعة اللغة، ووسائلها الخاصة في التركيب يقول فندريس:» وبالنظر إلى هذا التنوع من طرق البناء الصرفي، لابد أن تعرف الكلمة تعريفا مختلفا لكل لغة».

ولقد حاول الباحثون من قبل أن يعرفوها تعريفا شاملا، ولكن لم يكتب لواحد من هذه التعريفات أن يرقى عن مدارج النقد.

وآخر محطة ارتأينا نقف عندها هي تعريف أحمد حلمي خليل للكلمة الذي أورده في كتابه « الكلمة دراسة لغوية معجمية، حيث قال: الكلمة إذن في نهاية الأمر مبنى ومعنى، لكل منهما سماته وخصائصه التي بها يستطيع أن نتعرف على الكلمات، ولعل محاولة وضع تعريف جامع مانع للكلمة تتراجع أمام الدراسة الدقيقة لهذه الجوانب جميعا، فهي في ظني أولى بالاهتمام والدرس من محاولة وضع تعريف للكلمة، مهما بلغت دقته فسيكون شأنه شأن التعريفات دائما ليس بجامع أو مانع.

* * *

المصادر والمراجع

١. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د ط، ١٩٧٩.

٢. الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

٣. تمام حسان: مناهج البحث في اللّغة، دار الثّقافة، المغرب، د ط، ١٩٧٩.

٤. جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د ط، د ت.

٥. حسين جمعة: في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغية نقدية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، ٢٠٠٢.

٦. حلمي خليل: الكلمة دراسة معجمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، ١٩٩٨.

٧. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ط، د ت.

٨. سليم بابا عمر وبناني عميري، اللسانيات العامة المسيرة، علم التركيب، شركة أنوار للنشر، الجزائر، د ط، ١٩٩٠.

٩. عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط١٥، د ت.

١٠. عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال، المغرب، ط٢، ١٩٨٨.

١١. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

١٢. ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، ١٩٩٨.

١٣. محمد بن عبد الله بن مالك: ألفية ابن مالك، دار التعاون، بيروت، د ط، د ت.

١٤. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.

١٥. محمود سليمان ياقوت: النحو التعليمي والتطبيقي في القران الكريم، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، ١٩٩٩.

١٦. مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

١٧. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٦.

١٨. ابن هشام الأنصاري: شذور الذهب في معرفة كلام العرب، مؤسسة الطباعة والنشر، دار الهجرة، إيران، ط ٣، ١٤١٤هـ.

١٩. ابن هشام الأنصاري: شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، تحقيق هادي نهر، دار اليازوري، عمان، د ط، ٢٠٠٧.

٢٠. يعيش علي بن يعيش: شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

* * *